أنّ َهم حينَ جعلوا إنّما في معنى ما وإلا لم يَعْنوا أنّ َ المعنى فيهما واحدٌ على الإطلاق وأن يسِقطوا الفرقَ فإني أبيّ ِنُ لك أمَرها وما هو أصلٌ في كلّ ِ واحدٍ منهما بعونِ ا وتوفيِقه .

اعلمْ أنّ َ موضوعَ إنما على أن تجيءَ لخبرٍ لا يجهلهُ المخاطَب ولا يدفَعُ صحّ َتَه أو لما ينزّ َل هذه المنزلة . تفسيرُ ذلك أنك تقولُ للرجل : إنّما هو أخوكَ وإنما هُوَ صاحُبك القديمُ لا تقولُه لمن يجهلُ ذلك ويدفُع صحتَه ولكن لمن يعلَمُه ويُقرّ ُ به . إلاّ َ أنّ َك تريدُ أن تنبهَهُ للذي يجبُ عليه من حقّ ِ الأخِ وحرمِة الصاحِب . ومثُله قولُ الآخَرِ - الخفيف - : .

(إنّ َما أَنْتَ والِدٌ والأَبُ ... القاطِعُ أَحْنَى مِنْ واصِلِ الأوْلادِ) .

لم يُردْ أن يُعْلم كافوراً أنه والدٌ ولا ذاك مما يحتاجُ كافورٌ فيه إلى الإِعلام ولكنه أراد أن يذَكّ ِرَه بالأمِر المعلوم لينبنيَ عليه استدعاءُ ما يوجُبه كونُه بمنزلة الوالدِ . ومثلُ ذلك قولُهم : إنّما يعجلُ مَنْ يَخْشَى الفَوْتَ . وذلك أنّ َ منَ المعلومِ الثابتِ في النفوسِ أن مَنْ لم يخشَ الفوتَ لم يَعْجَلْ . ومثالُه منَ التنزيلِ قولُه تعالى : (إنّ َما يستجيبُ الذينَ يَسْمَعونَ) وقولُه تعالى (إنما تُنذِرُ مَنِ اتّ َبعَ الذّ ِكْرَ وَخَشِيَ الرّ َحْمنَ بالغيبِ) وقولُه تعالى : (إنّ َما أنتَ مُنذِرُ مَنْ يخشاها) . كلّ ُ ذلكَ تذكيرٌ بأمْرٍ ثابتٍ معلوم . وذلك أنّ َ كلّ َ عاقلٍ يَعْلَمُ أنه لا تكونُ استجابةٌ إلاّ ممّ َن يسمعُ ويَعقِلُ ما يقالُ له ويُدْعى إليه . وأنّ َ مَنْ لم يسمعْ ولم يَعْقِلْ لم يستَجِبْ . وكذلك معلومٌ أَنّ َ الإِنذارَ إنما يكونُ إنذاراً ويكونُ له تأثيرٌ إذا كان معَ مَنْ يؤمنُ با ويخشاه ويُصَدّ ِقُ بالبعثِ والساعِة . فأما الكافُر الجاهلُ فالإنذارُ معه واحدٌ . فهذا مثالُ ما الخبِر فيه خبرٌ بأمرٍ يعلَمُهُ المخاطَبُ ولا ينكِرهُ بحالٍ .

وأمّ َا مثالُ ما ينزّ َلُ هذه المنزلةَ فكقولِه - الخفيف - :